

(**م**) تجول في جهات بغداد الأربع .. من سلمان باك الى اليوسفية

لا حزام أخضر يحيط ببغداد.. بل طوق من العنف والإرهاب!

بغداد دار السلام هك أصبحت دار حرب يلفها طوق من المسلحين من شتى الانتماءات يجمعهم عداؤهم لاعادة بناء هيكل الدولة على اسس جديدة ويدفع بعضهم الفيض من غروب شمس الدكتاتورية والمحسوبة والمنسوبة فيقفون الى جانب عصايات الجريمة المنظمة ويشاركون الارهابيين خنادقهم من دون ان يقف انتماؤهم الوطني رادعاً؟ ذلك ان حسب المواطنة لديهم ارتبط بجملة امور شجعها النظام المباد ، وهو على هذا حسب مغلوب تدفعه موجات خطاب متخلف نحو ازقة مظلمة يفقد فيها القدرة حتى على تمييز ماهو جلي وواضح ورسخه العراقيون عبر تاريخهم السياسي والاجتماعي وعبروا عنه في ادبياتهم وخطابهم الفكري والثقافي العام ويستند الى مبدأ ثابت ينص على ان (الوطن اولاً) ، فهك من جواب؟

سلمت باك بداية عشوائية

من اين نبدا نلاحق هذا الطوق؟ في الحقيقة كل نقطة على محيط بغداد صالحة لبداية وعلى هذا سنبدا من منطقة سلمان باك كاختيار عشوائي، وهي منطقة زراعية خصبة الارض، وقد اقتطع عزه الدوري مساحة واسعة جدا من ارضها وجعل منها مرعى لغزلانه النادرة وقطعان ماشيته، وقد تششت كل شيء بعد هربه واقتسم سكان المنطقة ارض المرعى هذه ومحتوياتها.

في الاشهر الاولى التي اعقبت سقوط النظام، احتفظ السكان بهدونهم ويدا انهم غير مباينين اليابعاملهم ومزارعهم، لكن الامر اختلف بعد مدة، فقد تسلل الى المنطقة عدد من المسلحين وبعض رجال الدين المتشددين، واستوطنت المنطقة بعض عصابات التسليب وعناصر ارهابية نجحت في تجنيد عدد من العاطلين عن العمل من سكان المنطقة وبالاخص من بقايا الاجهزة الضمنية للنظام السابق وعناصر البعث المنحل، وراحت هذه الجامعات تندفع لقطع الطريق المتجه الى بغداد، وطريق بغداد/كوت، وقد امتد نشاطهم حتى منطقة الحفرية والصويرة التي شهدت اشتباكات شديدة وهجمات على مقرات الحرس الوطني ومراكز الشرطة، ويترصده هؤلاء الشاحنات القادمة من المحافظات الجنوبية الى بغداد وبالعكس ولاسيما صهاريج الوقود التي يمكن رؤية هياكلها على الطريق بين الصويرة وبغداد وفي منطقة الحفرية خصوصا الناس هنا يبدون استنكارهم لاعمال المسلحين لكنهم يعترفون بعجزهم عن دفعهم، ويوجهون لومهم وتقدهم الى الحكومة الانتقالية التي لم تتمكن حتى الان من ملء الفراغ الامني على الطرق الخارجية التي اصبحت مسرحا لنشاط هذه الجماعات الذي استشرى في الاونة الاخيرة وصار يستهدف حتى الموظفين المدنيين في اجهزة الدولة.

(كانت) مدينة سياحية!

ويرفض رجال الشرطة في المدينة الاجابة على اسئلة الصحفيين خشية انتقام هذه الجماعات فهم من سكان المنطقة ويعرفهم الجميع ويقول بعضهم انهم هم ايضا يعرفون اولئك المسلحين ويغضون البصر عنهم ولهذا عملنا بنصيحة احد ابناء المنطقة بالابتعاد عن الشرطة ايضا، وليس لهذه المعلومات مايؤكدها ولكن كثرة تداولها هنا

ويمكن القول ان مدينة سلمان باك في هذه الظروف لم تعد المدينة السياحية التي كان يقصدها البغداديون كما ان عموم منشآت المجمع السياحي القديم كالفسندق والشقق السياحية لم تعد تعمل وكذلك المطاعم (البار) الذي تم تهديد مستأجره فاجبر على اغلاقه. وسلمان باك كانت قبل مجيء البعثيين الى السلطة مصيف البغداديين أو (كسلتهم) حسب التعبير البغدادي، ترحل اليها العوائل البغدادية طوال اشهر الصيف وتبني على شواطئها (الجرادغ).

الريف

ويروي القدماء من سكان بغداد ذكريات مشوقة عن حفلات المساء التي كانت تقام على تلك الشواطئ، واذا كان طاق كسرى معلما بارزا من المعالم الاثرية في المنطقة فان مزار الصحابي الجليل سلمان الفارسي يشد اليه الزوار مناطق عديدة من العراق وفي ايران ويتذكر البغداديون ذلك المربع البغدادي الشهير الذي يبدا بالبيت الشجري الجميل القائل (المايزوري السلطان عمره خسار) هذه المشاهد الرائعة ازاحتها النظام المباد خلال خمسة وثلاثين عاما، وترسم بدلا منها اليوم هذه الجامعات الجامحة في المنطقة مشاهد مرعبة ولا احد يسدري الى اي حريق تقاعد المنطقة، أم ان كل الحرائق ستطفأ ويعود لها صفو حياتها القديم؟

تسليب في النهروان

ومن سلمان باك الى موقع تاريخي آخر هو النهروان حيث تتمازج تركيبة اجتماعية متنوعة، وقد استوطنتها بعض الجماعات المسلحة التي تنشط على طريق بغداد/الكويت كذلك، ومنها مجاميع اجرامية مهمتها قطع الطريق وتسليب الركاب تحت تهديد السلاح. وقد ارتهتوا اجزاء من المنطقة، حتى ان غريبا مهما كانت هويته لايمكنه المرور بها وتعرض هنا بعض الدوريات الامريكية الى هجمات مسلحة، والوضع عموما

غير مستقر، ويرفض السكان التحدث الى الصحافة او التقات صورهم، وفهم بين نارين كما الح بعضهم، نار الجماعات المسلحة ونار الامريكان.

نهر دياالى مضخاته لاندور

ونجتاز النهروان الى نهر دياالى ويرفعته تصعد الى عدد من قرى المنطقة، مقاطعة ٥٥ التي يبدو سكانها مشغولين بمزارعهم وتوريد منتجاتهم الى العاصمة بغداد، وهم يشكون بشدة هذه الايام شحة الوقود الذي لايتخدمونه في تشغيل سياراتهم وحسب، وانما لتشغيل مضخات الماء القمامة على نهر دياالى لاراء مزارعهم، فهذا النهر عميق وقلة المياه الواردة اليه تحول دون السقي بواسطة المضخة، كما ان ارتفاع اسعار المستلزمات والمواد الزراعية-كالاغطية البلاستيكية والسماد والبذور ومع ذلك فهم يتعرضون الى نوع من المساومة الشديدة التي تبخسهم قيمة منتوجاتهم ويؤكد بعضهم انهم تعرضوا للخداع والابتزاز في عدد من اعلاوي بغداد، ولهذا بدأوا ببيع منتوجاتهم مباشرة الى البقالين ولاسيما في اعلاوي جميلة.

وحول الوضع الامني في المنطقة، اكاد على ان السكان ان الوضع لايبأس به، وانهم هنا تقريبا واحدكم يعرف الآخر وتربطهم اواصر قرى وصلات مصاهرة، ومع ذلك فقد منع الوكلاء من تسلم وتوزيع استمارات التسجيل للانتخاب ويتحدثون بؤد مفقود عن الحكومة الانتقالية والحرس الوطني ورجال الشرطة، وقام عدد منهم بالتحقق من هويتنا على طريق السدة على ضفة نهر دياالى، بينما دعانا آخرون للحلول ضيوفا عليهم وقاموا بارشادنا ومساعدتنا معتذرين عن سلوك الاخرين الحذر بصعوبة الظروف.

الحسنية تلفظ التكفيريين

وهي ناحية كبيرة ذات كثافة سكانية عالية، وتقع شمالي بغداد على الطريق الى محافظة ديالى، كما انها من المدن التي نشأت حديثا كرتة لبغداد للتخفيف من الضغط السكاني المتصاعد فيها. وهنا يتحدث السكان عن الهجوم الذي شنه السلفيون التكفيريون على المدينة بعد سقوط النظام وانهيار جهاز الشرطة، والكيفية التي عاملوا بها عددا من الاحياء، وتنفيذهم جرائم قتل بحق عدد من العوائل البرية، وعودة الهدوء الى المدينة من جديد بعد عودة جهاز الشرطة وتوزيع العديد من المزارع على طريق بغداد بعقوبة وعند مداخل المدن من الحرس الوطني ورجال الشرطة، وكثافت ابناء المدينة الذين فروزا العناصر الارهابية في المدينة وكشفوها للجهات الحكومية.

مخاوف صبروة

ومع ذلك فالسكان هنا يتخوفون من امكانية نزول الجماعات المسلحة من مناطق محافظة ديالى الى مدينتهم، او تسللهم من منطقتي الرشادية والطارمية لقطع الطريق العام الى بغداد، على وفق الاسلوب نفسه الذي استخدم في منطقة اللطيفية على الطريق بين بغداد والحلة. المعقيد نزال جميل أمر مضارب الطريق من الشرطة الوطنية قال: ربما كان لمخاوف السكان مايبررها، لكننا نبدل جهدنا ودورياتنا مستمر ٢٤ ساعة يوميا ولن يتكرر ماحدث عشية سقوط النظام، واحب ان اطمن المواطنين اننا نملك الان اجهزة رصد ومتابعة وحركة لايبأس بها، وكذلك ازاد عدد عناصرنا وكفاءتهم.

مخوضون وتهديدات

الشيخ محمد علي محسن امام



- قنابر هاونات واعتقالات ودعاوى كيدية تحرق الاخضر واليابس في الراشدية وبلطات الانتخاب لم توزع!

والشرطة الوطنية وكلاهم بفتحها امام المهاجمين لشن هجمات مسلحة ضدهما ولقطع الطريق.

وقد تعرضت العديد من سيارات النقل المدني على الطريق الستراتيجي للاصبات العشوائية فالقوات الامريكية تجا لاطلاق النار العشوائي عند تعرضها لهجوم.

ولايكاد يمر يوم دون ان تتعرض المنطقة لمهاجمة الامريكان ما جعل عدداً من سكان المنطقة يعرض مزرعته او بستانه للبيع، فقد تعرضت بعض هذه البساتين لاسيما تلك التي تقع على طريق عام الى التجريف وقطعت اشجارها في مساحات غير قليلة لمنع استخدامها سواتر للمسلحين، كما قطعت اشجار وشجيرات الجزيرة الوسطية في الطريق المحافظات الشمالية وهو طريق المجاورة على الجانبين ولمسافة بعيدة.

الكواضمة فيا سيم البور

ومن الطارمية والتاجيات الى المقاطعة (سبعة بور) او سبع البور كما يطلق عليها الناس وهي الاخرى منطقة شديدة التنوع في تركيبها برغم ان ثمة من يجزم ان اغلب سكانها هم من الكرخ وتحديداً من الكاظمية وانهم لجأوا اليها بعدان ساءت ظروفهم خلال سنوات الحصار، فاضطروا الى بيع بيوتهم في الكاظمية وشراء بيوت او قطع اراضي في منطقة (سبعة بور) كما تدعى في السجلات العقارية.

وقد تعرضت خلال الحرب الاخيرة الى اضرار بالغة، فقد استخدم النظام المباد احياءها لتوزيع مدفعيته وصواريخه ما دفع الامريكان الى الرد على مواقع القصف وقد اصيبت بسبب ذلك احياء وبيوت وقتل

في المنطقة، اكاد العديديون انها لم توزع وان المنطقة لن تشارك في الانتخابات.

الطارمية والتاجيات .. الماء والنار

وحتى على جسر (الطارمية) يمكن ملاحظة جمال المنطقة التي تزدهر خضرة وماء لكنها تصور كالتنور واقعا وامناً، فهي بجوار الطريق العام الى المحافظت الشمالية وهو طريق استراتيجي في حسابات القوات الامتدادة تقاطع تفتيشها ومفارزها، وسيطرت على قاعدة (البكر) ومعسكر التاجي واستخدمتها لايواء قواتها وتخزين المعدات اللوجستية، وهي تنشر حمايتها لقاعدة البكر الجوية ومعسكر التاجي حتى من شاطئ وبساتين الرشادية، كما انها قامت قبل مدة بحملة مدهامات لتطهير جوانب الطريق من نتوءات المجمع المسلحة وعلى عمق خمسة كيلومترات في كل جانب ولاتكاد تمر خمس دقائق دون ان تشاهد طائرة سمية تراقب الطريق او تراقف رتلا عسكريا او مجموعة من الشاحنات، ومع ذلك فان العمليات المسلحة ضد هذه الارتال والدوريات مستمرة وبالاخص ضد صهاريج الوقود والشاحنات التركية التي تسلك

الطريق العام الى الطريق الزراعية نحو بساتين الراشدية، وهنا تكثر الدوريات والمواقع الامريكية المحيطة بمواقع القوات الامريكية داخل جزيرة بغداد السياحية، وكانت هذه الجزيرة قد نهبت محتوياتها عند سقوط النظام واعادها احد رجال الدين بعد ان جمعها من حائزتها. واستقرت فيها القوات الامريكية وهي تعد من دون تنفيذ!

ومن ناحية الحسينية نغير الطريق العام الى الطرق الزراعية نحو بساتين الراشدية، وهنا تكثر الدوريات والمواقع الامريكية المحيطة بمواقع القوات الامريكية داخل جزيرة بغداد السياحية، وكانت هذه الجزيرة قد نهبت محتوياتها عند سقوط النظام واعادها احد رجال الدين بعد ان جمعها من حائزتها. واستقرت فيها القوات الامريكية وهي تعد من دون تنفيذ!

بالانسحاب منها، برغم انها تتعرض في هذه المنطقة الى اكبر عدد من عمليات الهجوم المسلح بالهاونات وقذائف الاربي جي، ومن المعلوم ان هذه

(ابوغريب)

حتى قرية عدنان الحمداني الذي اعدمه صدام حسين مشكورين، ومن ثم الى قرى البوعيسى والطريق الممتد بينها وبين (ابو غريب) وفي هذه القرى يروي لك السكان قصصا اسطورية عن التجاوزات الامريكية وعند احد الجسور قريبا من مقبرة الصابنة كنا نحاول التخفيف من سرعتنا لرؤية جوانب المنطقة، عندها تناولت انفجارات قذائف الهاونات، وقيل لنا انها وجهت الى (ابوغريب) عندها قدمت الطائرات والدوريات الامريكية تفتش عن الضالعين، وما من اهداف سوى عشائر البوحمدان والبوعيسى فهم سكة المنطقة التي انطلقت منها قذائف الهاون. أما ابو غريب فالطريق العام اليها مقطوع، ولم تدخلها الا عن طريق (البو عيسى) وتحفل حيطانها لبيوتها ومدارسها بشعارات التنديد برئيس الوزراء العراقي اباد اعلاوي والامريكان وهنا يذكرنا السكان ان خان ضاري لايبعد كثيرا وانه رمز للوطنية العراقية وتؤكد لهم ان للعراق رموزا عديدة وان اختلاف الاجتهاد لايفسد للود قضية فتجد انك تطرق صفيحا باردا.

مستنقعات الرضوانية

عندها تتجه الى منطقة الرضوانية، تلك المستنقعات القديمة التي جفها الرئيس السابق واحاتها الى بحيرات ومزارع وقصور وعند احد الاستدارات تشاهد بقية مزارع (عدي) واحواض السمك عندها أطلقوا عليهم النار وقتلوهم، بينهما يقول اخرون ان هؤلاء من الجماعات المسلحة وهم يجالون الامسك بالطريق ليلا وكانت هناك دورية اميركية مارة فاطلقت انذارا لم يستجب له المسلحون او لم يفهموه، وعندها اطلقت عليهم الرصاص وقتلتهم وقد وجدت اسلحتهم الى جانبهم.

عراقيون

ومن الجدير ذكره هنا ان هذه المنطقة تقسمها عشيرتان هما العشوائية والقوات الامريكية تجا لاطلاق النار العشوائي عند تعرضها لهجوم. ولايكاد يمر يوم دون ان تتعرض المنطقة لمهاجمة الامريكان ما جعل عدداً من سكان المنطقة يعرض مزرعته او بستانه للبيع، فقد تعرضت بعض هذه البساتين لاسيما تلك التي تقع على طريق عام الى التجريف وقطعت اشجارها في مساحات غير قليلة لمنع استخدامها سواتر للمسلحين، كما قطعت اشجار وشجيرات الجزيرة الوسطية في الطريق المحافظات الشمالية وهو طريق المجاورة على الجانبين ولمسافة بعيدة.

وتشدهما (النخوة) و(العونة) العراقية المعروفة. وهم يقيمون هنا حول مقام الامام عبد الله بن علي الهادي في مدخل الكرمة ويتشاركون وجع الواقع وخيوط المصير. وهنا يقترب منا شباب من المنطقة ويدعوننا لضياقتهم بأبد بالغ شاكين من سوء تعامل الامريكان موضحين انه دفع بعدد من ابناء المنطقة الى الانضمام الى الجماعات المسلحة، وداعين شباب الحرس الوطني الى عدم تقليد الامريكي في تعامله مع العراقي لانه يعرف طبيعة العراقي ويعرف ان كرامتهما واحدة.

البوحمدان والبوعيسى

وأخصب أراضي جهات بغداد الاربع استملكها السابق، وما زالت بيد ولائهم!

ومن جرف الصخر الى اليوسفية، يرتعد صاحبي (السائق) فتمة الكثير من الملمئين الذين استوقفونا وتحققوا من هويتنا في الطريق، وتبدو اليوسفية هادئة ولاسيما عند جسرنا الذي افتقد زحامه، الا انها في الحقيقة تتعرض لمدهامات القوات المتعددة الجنسية والحرس الوطني بين لحظة واخرى، ملافنها الى مغادرتها باتجاه امتدادات بساتين دجلة في المنطقة المقابلة لسلمان باك، ويقال انها اصبحت اوكارا مرغبة للجماعات المسلحة، وهو مالم نتأكد منه.

